

كُنُزُ الْفِرْقَانِ

مجلة علمية دينية ثقافية في علوم القرآن الكريم

يصدرها

الاتحاد العام لمجاعت القرآن

العُدد الثامن	شعبان سنة ١٣٦٨ يونية سنة ١٩٤٩	رئيس التحرير على محمد الضباع	السنة الأولى
---------------	----------------------------------	---------------------------------	--------------

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المثل العليا في الاسلام

الحديث الديني الذي ألقاه حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الكبير الشيخ
محمد حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية بقصر رأس التين العامر في ليلة
الجمعة ١٢ من رمضان سنة ١٣٦٨

قال الله تعالى : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاماً ، والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ، والذين يقولون ربنا
اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً ، إنها ساءت مستقراً ومقاماً ،
والذين إذا أفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً . والذين لا يدعون
مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل
ذلك يلقى أناماً ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً ، إلا من تاب
وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً .
ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله يغفر »

مروا بالغوا مروا كراماً، والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعمياناً، والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً ، أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً ، خالدين فيها ، حسنت مستقراً ومقاماً » .

بينت الآيات السابقة حال الجاحدين الذين عتوا عن أمر ربهم واستكبروا عن عبادته حتى بلغ من جحودهم حين قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم وقد رآهم يعبدون من دون الله آوثاناً : اسجدوا للرحمن ، أن قالوا : وما الرحمن ؟ أنسجد لما تأمرنا ؟ ثم بينت هذه الآيات أوصاف الكل من المؤمنين فقال تعالى « وعباد الرحمن ، والعباد والعبيد بمعنى ، وهم الذين راقبوا جلال المولى وعظمته وشاهدوا في كل شيء ربوبيته ، فدانوا له بالخضوع والطاعة ، وكانوا للحق عبيداً حقاً ، والمولى ملكاً ورقاً . أولئك هم عباد الرحمن الذين شرفهم الله سبحانه بوصف العبودية له وخصهم بالاضافة إليه في قوله تعالى : « إن عبادى ليس لك عليهم سلطان » « فوجدوا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا » « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً » .

وأضيف العباد في هذه الآية إلى اسم الرحمن دون غيره من أسمائه الحسنى إشعاراً بتخصصهم برحمته وتفضيلهم بها ، وتقريباً لأولئك الجاحدين الذين قالوا في الآية السابقة على جهة الإنكار والتعجب « وما الرحمن ؟ »

تواضع المؤمنين : ثم وصف الله تعالى هؤلاء العباد فقال : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً » والهون : يطلق في لسان العرب على الرفق واللين والتثبت والتؤدة ، والسكينة والوقار ، وكلها معان متقاربة . وفي الحديث : « أحب حبيبك هوناً ما » أى حباً فيه ورفق وقصد لا إفراط فيه ولا مغالاة « نليه وسلم . كرن بغيضك يوماً ما » .

وتقول العرب : أقبل يمشى على هونه أى بسكينة ووقار ، أو على سجيته التى جبل عليها دون تكلف وتصنع . وفى حديث صفة مشيه عليه السلام : « كان يمشى هوناً » . وفى رواية : الهوينا ، أى بسكينة وحسن شمت .

امتدحهم الله بأنهم يمشون على الأرض بسكينة وتواضع ، قد خلعوا رداء الخيلاء والتعجب ، ونزعوا من قلوبهم الميل إلى الزهو والتكبر ، لا ينحرفون مدى حياتهم عن هذا السمت فى سائر أحوالهم . قال تعالى : « ولا تمش فى الأرض مرحاً ، إنك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا » . وقال تعالى : « ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحاً ، إن الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد فى مشيك » .

والمرح : الاختيال والتهيان فى المشية تكبراً وعتواً ، وهذا أدب أدب الله به المؤمنين تجميلاً لظواهرهم بالتواضع وحسن السمت ، وتطهيراً لسرائرهم من رذيلة الصلف والكبرياء :

ومن ثمراته غرس المودة فى النفوس ، وتوثيق عرى المحبة والأخاء بين الناس . وفى نهى الله تعالى بهذا الأسلوب البليغ عن مشية المرح والاختيال أشد الزجر عن كل مظاهر التعجب والكبر ، وهى من صفات غلاظ الأكباد ، قساة القلوب ، ضعفاء النفوس .

وليس الهون فى المشى والقصد فيه هو ذلك التماوت والحمول الذى يرائى به بعض الناس تكلفاً وتصنعاً ، وإنما هو السكينة فى قوة ، والوقار فى تحفز ، والتؤدة فى اعتدال ، كشية الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد كان مع السكينة والوقار واسع الخطى فى مشيته : يرفع رجله بسرعة ، ويمد خطوه كأنما ينحط من صلب .

رأى عمر رضى الله عنه رجلاً يمشى رويداً فقال : مالك ؟ أنت مريض ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين . فعلاه بالدرة وأمره أن يمشى بقوة ! .

العفو والصفح : ثم قال الله تعالى « وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » أى إذا جهل عليهم جاهل وبادرهم بالسوء سفيه ، أغضوا عنه حلماً ، وأعرضوا عن مقابلته بمثله عفواً ، وتحملوا أذاه صبراً ، ودفعوه بالرفيق من القول حكمة ، نحرزاً عن الانم واللغو ، وتالياً للنفوس الجامحة وإرشاداً للجاهلين . ومنه قوله تعالى « وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتلى الجاهلين » .

وعن أنس رضى الله عنه قال : كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية ، فادركه أعرابي فجذبه (جذبه) بردائه جبنة شديدة ، فنظرت إلى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت فيها حاشية البرد من شدة جذبته ، ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك . فالتفت إليه فضحك ، ثم أمر له بعطاء .

التبجد : وكما امتدحهم الله بالكمال في أنفسهم ، والكمال في المعاملة مع غيرهم ، أننى عليهم بحسن المعاملة مع ربهم فقال تعالى : « والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً » أى يحميون الليل بالتبجد لله ، يراوون بين السجود والقيام في الصلاة رجاء رحمته ، وخفاة عذابه « كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون » « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون ، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » .

وقدم السجود في الآية على القيام مع أن القيام مقدم في الصلاة على السجود ، لأن العبد أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد .

والسجود لله هو أبلغ مظاهر الطاعة والعبادة ، وهو شعار المؤمنين ؛ قال تعالى : « إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون » .

وفي امتدادهم بهذه الصفة في الآية تعريض بأولئك الجاحدين الذين استكبروا عن السجود لله وقالوا أنسجد لما تأمرنا، فبينت الآية أن الله عباداً يبيتون له سجداً وقياماً الخشية في الله : ثم وصفهم الله تعالى بالخشية منه والضراعة له فقال : « والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ، إن عذابها كان غراماً . إنها ساءت مستقراً ومقاماً » .

فهم مع حسن معاملتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق ، يخشون ربهم ويرهبونه ، ويبتهلون إليه تعالى أن يصرف عنهم العذاب، لعدم اعتدادهم بأعمالهم والخوف من تبدل أحوالهم ؛ قال تعالى : « والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون » وهناك الحساب والعذاب وما أدراك ما العذاب « إن عذابها كان غراماً » أي هلاكاً أو لا زمّاً دائماً « إنها ساءت مستقراً ومقاماً » .

الاعتدال والتقصّد : ثم وصفهم الله تعالى بالاعتدال في أمورهم فقال : « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً » أي دأبهم في النفقة في المباحات التقصّد والاعتدال والتوسط بين الإفراط والتقریط، لا يسرفون فيجاوزون الحد الذي أباحه الشارع، ولا يقترون فيقصرون عما رخص الشارع فيه ، بل يكون إتفاقهم عدلاً وسطاً بين طرفين ذميين .

والوسط المعتدل المحمود : معروف بين الناس عرفاً في كل شيء . من شئون الحياة، وذلك يختلف باختلاف الأحوال والبيئات والظروف، فيذم الناس امرأاً بالاسراف لتجاوزها الحد المعروف والقدر المألوف إلى ما فوقه ، ويذمون آخر بالاعتدال لتقصيره عن هذا الحد إلى ما دونه ، ويحمدون ثالثاً بالاعتدال لتوسطه في أمره بين التبذير والتقتير . وفي الحديث : « من قه الرجل رفقته في معيشته » .

ومن الاسراف إتفاق المال وإن قل فيما حرم الله؛ قال تعالى : « ولا تسرفوا

إنه لا يحب المسرفين » وهو التبذير المذموم في قوله تعالى : « ولا تبذر تبذيراً .
إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفوراً » .

ومن الاقتار البخل بالمال فيما أوجب الله أو رغب فيه ؛ قال تعالى : « وأما من
بخل واستغنى وكنب بالحسنى فسنيسره للعسرى ، وما يغنى عنه ماله إذا تردى »
وهو الشح المذموم ؛ قال تعالى « وأحضرت الأنفس الشح » « ومن يوق شح نفسه
فأولئك هم المفلحون » .

وليس من السرف إفاق المال مهما كثر في طاعة الله . ولذلك لما خرج
أبو بكر عن كل ماله ، وخرج عمر عن نصف ماله ، وجهز عثمان بماله عشرة آلاف مقاتل
في غزوة تبوك ، وكان المسلمون في أشد العسرة والجذب - قبل الرسول صلى الله
عليه وسلم منهم ذلك ، ودعا لهم بخير ، ورضى عنهم ، ولم يعده سرفاً .

وهذا الدستور الاقتصادي الذي شرعه الله في هذه الآية وفي قوله تعالى :
« ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً »
أقوم سبل النجاح في الحياة ، والحيدان عنه مضلة ومهلكة ، وانتهاجه أمن وسعادة .
أمهات المعاصي : وبعد أن بين الله نحلي عباده المخلصين بأصول الطاعات ، بين
تخليهم عن أمهات المعاصي التي اتصف بها أولئك الجاحدون ، فقال تعالى : « والذين
لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون »
فبرأهم من الشرك وبين أن قلوبهم قد طهرت من دنسه وأذعنت لله بوحدانيته ،
وبرأهم من العدوان على الدماء المعصومة بالقتل والاعتقال والاغارة ، وبرأهم من
العدوان على الأعراض والأنساب .

الجزاء : ثم قال تعالى « ومن يفعل ذلك يلق أثاماً » أي من يفعل ما ذكره
من الكفر وقتل النفس بغير حق وارتكاب الفاحشة يلقى في الآخرة عقاباً لا يقادر

قدره ، وقد بينه الله تعالى بقوله « يضاعف له العذاب يوم القيامة » فله عذاب على الكفر ، وعذاب على القتل ، وعذاب على الفاحشة « ويخلد فيه مهاناً » أى ذليلاً مستحقراً ، فيجمع له العذاب الجسماني والعذاب الروحاني « إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات » وكان الله غفوراً رحيماً .

التوبة : وهذا باب من أبواب رحمة الله لعباده ورأفته بخلقه ، فتحه لأولئك المستكبرين عن عبادته ، رجاه أن ينيبوا إليه ، ويقفوا داخرين بين يديه . فمن آمن منهم بعد ما سلف وتاب إلى الله مما اقترف وعمل صالحاً فامثل ما أمر الله به وانتهى عما عنه نهى ، فأولئك يقبل الله توبتهم ويعفو عن سيئاتهم ويبدل سيئاتهم في الشرك حسنات في الاسلام ، فينقلب التائب بذلك من مسمى عاص إلى محسن مطيع ، وتبدل أعماله من معاص وسيئات إلى طاعات وحسنات ، وتبدل صحائفه من سوداء قائمة إلى بيضاء ناصعة ، وآخرته من عذاب أليم إلى نعيم مقيم ؛ قال تعالى : « وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات » « يأيتها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار » .

أما الايمان فيجب الكفر ويعنى أثره ، وهو تصديق بعد جحود ، وإذعان بعد كنود ، وهو رأس الحسنات والأعمال الصالحات .

وأما التوبة فهي الندم على ما فرط من السيئات ، والرجوع إلى الله تعالى بعد الابقاء والشرود ، والاقبال عليه بعد النفار والصدود ، فاذا تنبه القلب من غفلاته واستيقظ من رقداته ، وأصغى إلى زواجر الحق سبحانه - أدرك الانسان سوء ما صنع ، وأبصر قبح ما اقترف ، وسنحت له إرادة التوبة فأحس الندم والحسرة ، واعتزم الرجعى والأوبة ، فعند ذلك تنحل منه عقدة الاصرار على الذنوب فيكف عن ارتكاب المحظورات ويكبح نفسه عن متابعة الشهوات ، فيفارق الزلة في الحال

ويبرم العزم على أن لا يعود إليها في الاستقبال وينيب إلى ربه بنفس راضية مطمئنة وقلب واع سليم . وفي الحديث : « واعظ الله في قلب كل امرئ مسلم » . وأما الأعمال الصالحة فما كان منها أعمال قلوب كالإيمان والاخلاص والتوبة ونية العبادة فهو سر بين العبد وربّه لا يطلع عليه إلا علام الغيوب ، وما كان منها أعمال جوارح كإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وإفقاق المال في سبيل الله فهو عمل ظاهر وأمانة على التوبة والطاعة ، إلا أنه لا بد فيه من النية والاخلاص . والعمل الصالح بالقلب والجوارح في السر والجهر ، سبيل الفوز بذلك الأجر .

وكذلك من تاب من المؤمنين وأتبع توبته عملاً صالحاً يحققها وينبئ عنها فهو الذي تاب إلى الله حق التوبة وله حكم أولئك التائبين ، وذلك قوله تعالى بعد أن ذكر حكم من تاب من المشركين «ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً» الاعراض عن الباطل : ثم وصفهم الله تعالى بالاعراض عن الباطل وعدم ممالاة المبطلين فقال : « والذين لا يشهدون الزور ، وإذا مروا باللغو مروا كراماً » .

الزور لغة : تحسين الشيء وتزيينه ووصفه بغير صفته الحقيقية ، وهو يشمل كل باطل مائل عن جهة الحق ، والكفر والكذب وشهادة الزور ومجالس اللهو والفسوق وسائر المعاصي التي حرمها الله .

واللغو : كل كلام أو فعل باطل لا حقيقة له ، وهو الذي يجب أن يلغى ويطرح . فيشمل السب الباطل ، وذكر ما هو مستقبح في الآداب العامة .

والكرام : جمع كريم ، وهو الذي ينزه نفسه عن التدنس بما يخالف ربه ، أو هو الصفوح عن الإساءة ؛ فوصفهم الله بأنهم لا يشهدون الباطل ولا يحضرون مجالسه ، ولا يماثلون أهله ولا يقولون كذباً ولا يشهدون زوراً ولا يقارفون المعاصي والحرمات . ووصفهم بأنهم إذا مروا عفواً بالباطل نزهاً أنفسهم عن الخوض فيه والدنو منه ، أو أعرضوا عن المسيء وصفحوا عن الإساءة .

ومنه قوله تعالى : « وإذا ممعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتلى الجاهلين » .

وفي الآية إشعار بنفى كمال الايمان عن يشهد الباطل وينفس يده في المنكرات ولا ينزه نفسه عن مستهجن القول ومستقبح الفعل .

التدبر والتأثر بالمواعظ : ثم وصفهم الله بالتدبر والانتفاع بالمعظات ، قال تعالى « والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعمياناً » أى إذا ذكروا بحجج الله تعالى لم يكونوا صما لا يسمعون وعمياناً لا يبصرون ، بل كانوا أيقاظ القلوب فهما العقول ، يفهمون عن الله ما يذكروهم به ، ويعقلون عنه ما ينبههم إليه ، فيودعون مواعظه آذاناً سامعة وقلوباً واعية ، لا كأولئك الجاحدين الذين إذا ذكروا بآيات ربهم خروا عليها صما وعمياناً ، فلا يسمعون ولا يبصرون ولا يفهمون .
الابهال : ثم ختم الله أوصافهم في هذه الآية بقوله « والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين واجعلنا للمتقين إماما » .

قرة العين: كناية عن الفرح والسرور مأخوذة من القرار وهو الهدوء والسكون؛ يقال أقر الله عينه أى بلغه أمنيته حتى رضيت نفسه وسرت وسكنت عينه فلا تستشرف إلى غيره . ومنه قوله تعالى « قررة عين لى ولك » . وقول النبي « وجعلت قررة عيني في الصلاة » .

رغب المؤمنون إلى ربهم أن تقرأعينهم وتسرفوسهم بما يرون من أزواجهم وذرياتهم من الهداية والطاعة والاحسان في العبادة . وليس شئ أقر لعين المؤمن من أن يرى أحب الناس إليه مقبلين على طاعة الله معرضين عن معاصيه ، فقالوا : « ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين » ، وابتهلوا إليه تعالى أن يجعلهم أئمة هدى يقتدى بهم المتقون في خيرى الدنيا والآخرة ، فقالوا : « واجعلنا للمتقين إماما » .

المكافأة : وبعد أن بين الله تعالى صفات عباده المتقين أخبر بأنواع إحسانه إليهم ومكافآته لهم بقوله « أولئك يجزون الغرفة بما صبروا » والغرفة أعلى منازل الجنة، فيكافأون بها جزاء صبرهم على مشاق الطاعات وكبح الشهوات واحتمال الأذى ومجاهدة النفس ورياضتها « لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون » « ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً » .

وصف الله في هذه الآية الجامعة الأصفياء من عباده ، وبين ما يقتضيه الإيمان الحق من صفات باحدى عشرة صفة : بالتواضع والحلم والتهجد لله والخوف منه وترك الاسراف والاقتار والنزاهة عن الشرك وقتل النفس وهتك العرض والتوبة إلى الله وتجنب الزور والباطل والعفو عن الاساءة وبالانتفاع بالمواعظ والابتهاال إلى الله .

المثل العليا : تلك هى صفات الرعيل الأول من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلك هى آدابهم التى كانوا عليها وكانت نبراساً لمن بعدهم من أئمة الهدى وأعلام الاسلام وثقة المؤمنين .

فأى مجتمع بشري تكاملت فيه هذه الفضائل التى اجتمعت لهؤلاء ؟
وأية مدنية أرقى من مدنية هذه الأمة التى درجت فى الصحراء فتولتها العناية الربانية ، وبعث الله فيهم رسولا من أنفسهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم ، فكانوا كما وصف الله علماء حكماء ، راضوا أنفسهم على الحق ، وأقاموا بينهم ميزان العدل ، وطهروا مجتمعهم من الرذائل والآثام ، وأدوا حق الله وحق الناس .

بهذه الصفات كانوا أمة قوية لها مدينتها الحقة وحضارتها السامية التى اعتدل فيها ميزان الروح والمادة ، فلم تطف فيها المادية طغيانها فى الأمم الأخرى التى خضعت لسلطانها ، فاستحالت حضارتها إلى جشع وطمع واستعباد واستئثار .

ولم تطغ فيها الروحية طغيانا يعزلها عن مجال الحياة والعمل في المعترك الانساني بل كانت قواما بين هذين كما قال تعالى « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » . وقال « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » .

وبهذه المثل العليا انتشر دين الاسلام ، ودخل الناس فيه أفواجا وأفرادا وأمما ، وأشرق نوره في الآفاق ، وامتدت ظلاله الوارفة إلى أقاصى المعمور من الأرض ، فكان هدى بعد ضلال ، وعلماء بعد جهالة ، ومدنية بعد وحشية ، وحضارة بعد همجية ، وكان إنقاذاً للإنسانية من شرور وطغيان ، وسيظل كذلك إلى يوم الدين ، وسنظل به أعزة ما استمسكنا بهداه ، وترسمنا مثله العليا ، ورضنا أنفسنا على مادعا اليه ، وأقننا حضارتنا على أسسه القوية ، ومبادئه الحققة ، وفيها متسع للتجديد ، ورحابة للأخذ بالحسن الصالح من الجديد .

الأحرف السبعة

ورد إلى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل شيخ عموم المقاريء المصرية
السؤال التالي :

ما معنى حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف ؟

الجواب

ينحصر الكلام على هذا الحديث في أربعة مباحث وتتمه :

الأول : في بيان طريقه .

الثاني : في سبب ورود القرآن على سبعة أحرف .

الثالث : في بيان المراد بهذه الأحرف السبعة .

الرابع : في بيان اختلاف الأحرف السبعة اختلاف تنوع وتغاير ، لا اختلاف
تضاد وتناقض . والتتمه في بيان فوائد اختلاف القراءات .

وها أنذا أذكر لك شيئاً من كل منها ، فأقول :

المبحث الأول في بيان طرق هذا الحديث

روى بالطرق الصحيحة عن جمع من الصحابة ، وتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأقرءوا ما تيسر منه » روى البخاري عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذت أسأوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم فلبيته بردائه فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرؤها ؟ فقال : أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : كذبت فان رسول

الله صلى الله عليه وسلم أقرأنيها على غير ما قرأت . فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إن هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرأ فيها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسله ، اقرأ يا هشام . فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأها ، فقال : كذلك أنزلت ؛ إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه . وفي لفظ للبخاري أيضاً عن عمر أيضاً : سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . الحديث وفي لفظ مسلم عن أبي بن كعب « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أضاة بنى غفار فاتاه جبريل عليه السلام فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف ، فقال : « سل الله معافاته ومعونته فإن أمتي لا تطيق ذلك » . ثم أتاه الثانية على حرفين ، فقال له مثل ذلك ، ثم أتاه الثالثة بثلاثة ، فقال له مثل ذلك ، ثم أتاه الرابعة فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأبما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا . ورواه أبو داود والترمذي وأحمد . وفي لفظ للترمذي أيضاً عن أبي قال : « لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عند أحجار المروة ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل : إني بعثت إلى أمة أميين فيهم الشيخ الفاني والمجوزة الكبيرة والغلام . قال : ففرهم فليقرءوا القرآن على سبعة أحرف . قال الترمذي : حسن صحيح . وفي لفظ : فمن قرأ بحرف منها فهو كما قرأ . وفي لفظ حذيفة : فقلت يا جبريل إني أرسلت إلى أمة أمية فيهم الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ الفاني الذي لم يقرأ كتاباً قط . قال : « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف » . وفي لفظ لأبي هريرة : « أنزل القرآن على سبعة أحرف : عليهما حكيماً غفوراً رحباً » . وفي رواية لأبي : دخلت المسجد أصلي فدخل رجل فافتتح النحل . فقرأ فخالفني في القراءة ، فلما انفتل قلت : من أقرأك ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء رجل فقام وصلى فقرأ فافتتح النحل فخالفني وخالف صاحبي ، فلما انفتل

قلت من أقرأك؟ قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فدخل قلبي من الشك والتكذيب أشد ما كان في الجاهلية، فأخذت بأيديهما وانطلقت بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت استقرئ هذين. فاستقرأ أحدهما فقال: أحسنت. فدخل قلبي من الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية. فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدرى بيده فقال: أعيذك يا أباي من الشك! ثم قال: إن جبريل عليه السلام أتاني فقال: إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد، قلت: اللهم خفف عن أمتي. ثم عاد فقال: إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفين، قلت: اللهم خفف عن أمتي، ثم عاد فقال إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف وأعطاك بكل ردة مسألة. الحديث. رواه الحرث بن أبي أسامة في مسنده بهذا اللفظ. وفي لفظ لابن مسعود: فمن قرأ على حرف منها فلا يتحول إلى غيره رغبة عنه. وفي لفظ لأبي بكر: كل شاف كاف ما لم يختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب. وهو كقولك: هلم وتعال وأقبل وأسرع واذهب واعمل. وفي لفظ لعمر بن العاص: فأى ذلك قرأتم قد أصبتم، ولا تماروا فيه فان المراء فيه كفر.

وقد وقع لجماعة من الصحابة نظير ما وقع لعمر مع هشام.

فمن ذلك ما وقع لأبي بن كعب مع ابن مسعود في سورة النحل كما تقدم. ومنه ما أخرجه أحمد عن ابن قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو: أن رجلاً قرأ آية من القرآن فقال له عمرو: إنما هي كذا وكذا. فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأى ذلك قرأتم أصبتم فلا تماروا فيه». إسناده حسن.

ولاحد أيضاً وأبى عبيد والطبرى من حديث أبى جهم بن الصمة: أن رجلين

اختلفا في آية من القرآن كلاهما يزعم أنه تلقاها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحو حديث عمرو بن العاص .

وللطبري والطبراني عن زيد بن أرقم قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أقرأني ابن مسعود سورة أقرأنيها زيد بن ثابت وأقرأنيها أبي ابن كعب فاختلفت قراءتهم ، فبقراءة أيهم أخذ ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلي إلى جنبه ، فقال علي : ليقرأ كل إنسان منكم كما علم ، فإنه حسن جميل .

ولابن حبان والحاكم من حديث ابن مسعود : أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة من آل حم ، فرحت إلى المسجد فقلت لرجل : أقرأها ، فإذا هو يقرأ حروفا ما أقرأها ، فقال : أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرناه ، فتغير وجهه وقال : إنما أهلك من كان قبلكم الاختلاف ، ثم أسر إلى علي شيئاً ، فقال علي : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمركم أن يقرأ كل رجل منكم كما علم . قال : فانطلقنا وكل رجل منا يقرأ حروفا لا يقرأها صاحبه .

وقال الشمس ابن الجزري في نشره : وقد نص الامام الكبير أبو عبيد القاسم ابن سلام رحمه الله على أن هذا الحديث تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم . « قلت : » وقد تتبع طرق هذا الحديث في جزء مفرد جمعته في ذلك فرويناه من حديث عمر بن الخطاب ، وهشام بن حكيم بن حزام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبي بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وأبي هريرة ، وعبد الله ابن عباس ، وأبي سعيد الخدري ، وحذيفة بن اليمان ، وأبي بكرة ، وعمرو بن العاص ، وزيد بن أرقم ، وأنس بن مالك ، وسمرة بن جندب ، وعمر بن أبي سلمة ، وأبي جهم ، وأبي طلحة الأنصاري ، وأم أيوب الأنصارية ، رضي الله عنهم .

وروى الحافظ أبو يعلى الموصلى فى سننه الكبير : أن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال يوماً وهو على المنبر : أذكر الله رجلاً سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، كلها شاف كاف ، لما قام . فقاموا حتى لم يحصوا ، فشهدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أنزل القرآن على سبعة أحرف ، كلها شاف كاف » . فقال عثمان رضى الله عنه : وأنا أشهد معهم .

المبحث الثانى فى سبب ورود القرآن على سبعة أحرف

قال الشمس ابن الجزرى : فأما سبب وروده على سبعة أحرف فالتخفيف على هذه الأمة ، وإرادة اليسر بها والتمهين عليها ، شرفاً لها وتوسعة ورحمة ، وخصوصية لفضلها ، وإجابة لقصد نبيها أفضل الخلق وحبيب الحق حيث أتاه جبريل فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف ، فقال صلى الله عليه وسلم : سل الله معافاته ومعونته ، إن أمتى لا تطيق ذلك . ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف . وفى الصحيح أيضاً : « إن ربى أرسل إلى أن أقرأ القرآن على حرف فرددت عليه أن هون على أمتى ، ولم يزل يردد حتى بلغ سبعة أحرف » . وكما ثبت صحيحاً أن القرآن نزل من سبعة أبواب على سبعة أحرف ، وأن الكتاب قبله كان ينزل من باب واحد على حرف واحد . وذلك أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يبعثون إلى قومهم الخالصين بهم ، والنبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى جميع الخلق أحمرهم وأسودهم عربهم وأعجمهم ، وكان العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة وألسنتهم شتى ويعسر على أحدهم الانتقال من لغة إلى غيرها أو من حرف إلى آخر ، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولو بالتعليم والعلاج لاسيما الشيخ والمرأة ومن لم يقرأ كتاباً كما أشار إليه صلى الله عليه وسلم . فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن

أستهم لكان من التكليف بما لا استطاع ، وما عسى أن يتكلف المتكلف ،
وتأبى الطباع ... انتهى .

وقال الامام أبو محمد بن عبد الله بن قتيبة في كتاب المشكل : فكان من تيسير
الله تعالى أن أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يقرء كل أمة بلغتهم وما جرت به
عاداتهم . فلهذا يقرأ « عتي حين » يريد حتى حين هكذا يلفظ بها ويستعملها ، والأسدي :
يعلمون وتعلم وتسود وجوه . وألم إعهد إليكم بكسر حرف المضارعة . والتميمي يهز
والقرشي لا يهز . والآخر يقرأ قيل لهم وغيض الماء باثمام الضم مع الكسر ، وبضاعتنا
ردت إلينا باثمام الكسر مع الضم ، ومالك لا تأمنا . باثمام الضم مع الادغام .
قال العلامة ابن الجزري : وهذا يقرأ عليهم وفيهم بضم الماء . والآخر
يقرأ عليهم ومنهم بالصلة . وهذا يقرأ قد أفلح وقل أوحى وخلا إلى بالنقل . والآخر
يقرأ موسى وعيسى ودنيا بالامالة . وغيره يلفظ . وهذا يقرأ خبيراً وبصيراً
بترقيق الراء ، والآخر يقرأ الصلاة والطلاق بتفخيم اللام إلى غير ذلك ... انتهى .
قال ابن قتيبة : ولو أراد كل فريق من هؤلاء أن يزول عن لفته وما جرى عليه
اعتباره طفلاً وإفهما وكهلاً لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه ولا يمكنه إلا بعد
رياضة للنفس طويلة وتذليل للسان وقطع للعادة ، فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل
لهم متسعاً في اللغات ومتصرفاً في الحركات كتيسيره عليهم في الدين . اهـ
وأيضاً النبي صلى الله عليه وسلم تحدى بالقرآن جميع الخلق : « قل لئن اجتمعت
الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ... » الآية . فلو أتى بلغة
دون لغة لقال الذين لم يأت بلغتهم : لو أتى بلغتنا لآتيننا بمثله ، وتطرق الكذب
إلى قوله ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً :

« يتبع »

على محمد الضباع

شيخ صوم القاريء المعرية

التغنى بالقرآن الكريم^(١)

١ — تعرضنا بالأجمال في مقال سابق لقراءة القرآن بالألحان ، مشيرين إلى أنها تنافي الاتعاظ به ، والاهتداء بهديه ، والاعتبار بقصصه ؛ وقلنا « ليست منيا كرة القرآن بما ابتدعنا فيها من ألحان نظرى بها الصوت ، ونغمه ، وتمايل الأعناق طربا للنغم ، وتتصايح الأصوات استطابة للحن ، والقارىء يترنم بنغمه ، ويهتز للحنه ، ولا يراعى معنى ، فيخفض صوته في آيات الترهيب ، ويشد في آيات الترغيب ، يلين في آيات القتال ، ويجلجل في آيات السلام » .

وقد اتصل بنا بعض القراء فطلب إلينا بيانه ، فان هذا موضوع لا يغنى فيه الاجمال عن التفصيل ، ولا تقوم فيه الإشارة مقام العبارة ؛ وخصوصاً أن البلوى فيه عامة ، والبدعة فيه حسبها الناس سنة ، وتعلقوا بآثار واردة عن النبي صلى الله عليه وسلم تبيح التغنى بالقرآن وتزيينه بحسن الصوت ؛ فحق علينا أن نزيل الاشتباه ، ونبين الفرق بين ما كان يستحسنه الرسول الكريم ، وما ابتدعه الناس من بعده ، معتمدين في ذلك على المنقول والمعقول ، لا تنزید على علم السلف ، ولا نسلک غیر سبيلهم القويم .

٢ — فأننا لا نحارب البدعة ، إلا بما يثبت لدينا أنه السنة ، والسنة في هذا المقام هي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن ، وقد جاء وصفها في صحيح السنة ، والثابت من الآثار .

(١) نقلا عن مجلة « لواء الاسلام القراء » .

فقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حزب من القرآن يقرؤه ، ولا يخل به ، وكانت قراءته ترتيلاً ، لا هذا^(١) ولا عجلة ، بل قراءة مفسرة ، حرفاً ، حرفاً ، وكان يقطع قراءته ، آية ، آية ، وكان يمد عند حرف المد ، فيمد الرحمن ، ويمد الرحيم ، وكان يقرأ القرآن قائماً وقاعداً ومضطجعاً ومتوضئاً ومحدثاً ، وكان يترنم به ، ويرجع صوته به أحياناً ، كما رجع يوم الفتح في قراءته « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً » وكان يحب أن يسمع القرآن من غيره ، وقد أمر عبد الله بن مسعود مرة أن يقرأ عليه ، فلما سمعه عليه السلام خشع ، حتى ذرفت عيناه ، وقد استمع ليلة لقراءة أبي موسى الأشعري من غير أن يعلمه ثم أخبره ، فقال رضى الله عنه : « لو كنت أعلم أنك تسمعه لحبته لك تحبيراً^(٢) » .

ولقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « زينوا القرآن بأصواتكم » وروى أنه قال : « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » وقال عليه السلام : « ما أذن الله لشيء ، كأذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن » .

٣ — فهذه الآثار كلها تدل على أنه عليه السلام أباح التغنى بالقرآن ، وأباح ترجيع الكلمات مترنماً بمعانيها مردداً لها بترديد ألفاظها ، كما يفعل الأديب عند ترديد بيت من الشعر أدرك معناه واستطابه ، فردده استحساناً له ، ولجودة التعبير وسلامته ، وكما فعل عليه السلام عند ترجيعه « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً » فان ترديد ذلك في عام النتح إنما هو من شكر المنعم به ، وهو استدكار للانتقال من الضعف إلى القوة ، ومن الفتنة في الدين إلى جعل الكلمة العليا لدين رب العالمين . وإذا كان الترجيع ليس إلا ترديداً للمعنى ، وتذوقاً له واستطابة ، واعتباراً

(١) الهدى : سرعة القطع ، أي أنه لا يقرأ قراءة يسرع في مقاطعها ، فلا يملأ الوقوف حقها ، ويفسر ذلك ما جاء بعد .
(٢) أي يحسن صوته تحمينا .

به ، فكذا يكون التغنى الذى استحسنة النبي صلى الله عليه وسلم ؛ إذ أن العرب الذين كانوا يقرءون القرآن كانوا على علم بأساليب البيان ، ومعانى الفرقان ؛ فكانوا يترنمون بالالفاظ ترجيعاً لمعناها ، وتذوقاً لجمالها ؛ واستحساناً لأسلوبها . وعلى ذلك يكون تحسين القراءة بالصوت الجميل ، الفرض منه . أن يسهل على السامع فهم المعنى وتذوقه ، وإدراك جمال الأسلوب ، وجمال الالفاظ .

٤ — أما إذا كان التغنى بالقرآن لمجرد النغم من غير نظر إلى المعانى ، ومن غير أن يدرك السامع جمال اللفظ وجمال الأسلوب ، بل يستطيع الألحان من غير تفرقة بين أن تكون الألحان فى ألفاظ التنزيل ، أو تكون فى شعر عربى فصيح أو أوزان عامية مستحدثة ، فذلك هو الذى لا نعتقد أن النبي صلى الله عليه وسلم أقره ؛ بل تؤمن بأنه نهى عنه ، وتنبأ بوقوعه وحذر منه .

فقد روى الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الكتاب والفسق ، فإنه سيحىء بعدى أقوام يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم » .

ولقد ذكر الرسول صلوات الله وسلامه عليه « أن من علامات الساعة أن يتخذ القرآن مزامير يقدمون أحدهم (ليس بأقرئهم ، ولا أفضلهم) ليغنيهم غناء » . فهذان الحديثان فهما بيان أن قراءة القرآن بالألحان ليست من السنة فى شئ ، وهى غير التغنى الذى أباحه النبي صلى الله عليه وسلم واستحسنة ، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم الحد الفاصل بين التغنى المستحسن ، والتلحين المستهجن ، فى الحديث الأول ؛ فقد ذكر أن التغنى المستحسن هو الذى يجىء على لحن العرب ؛ ولحن العرب كانت تقوم على إخراج الحروف من مخارجها ، والمد فى موضع المد وهمز المهورز ، ووصل الموصول ؛ ونحو ذلك من المبين فى علم التجويد ، فهذه ألحان

العرب ، وتحسينها هو بالصوت الجميل ، لا بتوقيع القرآن على موسيقى الأعاجم .
والترنم به هو ترديد المعنى المفهوم في اللفظ الجميل بحيث يكون الصوت مصوراً
للمعنى أولاً وبالذات ، ولعل هذا هو التعبير الذي كان يتجه إليه أبو موسى الأشعري
عند ما كان يريد تحبير قراءته .

٥ — لقد بين النبي إذاً الفرق بين التغني المقبول ، والتلحين المرذول ، وتنبأ
بوحى من ربه بما يكون ، ثم لم يمض زمن طويل على انتقاله صلى الله عليه وسلم إلى
الرفيق الأعلى ، حتى ظهرت لحون الأعاجم ، فانه في صدر الدولة الأموية قد ظهر
الغناء الفارسي ، وأخذ العرب ، ولحنوا به أشعارهم ، ثم سرت العدوى من الأشعار
إلى القرآن ؛ فكان من القراء من يقرأ القرآن بهذه الألحان الأعجمية التي لا تتفق
مع اللحن العربي ؛ وأدرك ذلك بعض الصحابة الذين عمروا إلى الدولة الأموية ،
فانه يروى أن قارئاً جاء إلى أنس بن مالك ، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقرأ
وطرب ، فقال له صاحب الرسول عليه السلام : « ما هكذا كانوا يفعلون » واستنكر
صنيع ذلك القارئ ، وعده بدعة .

٦ — ولذلك قال التابعون الذين سمعوا تلك الألحان الأعجمية ورأوها تذهب
بالروعة القرآنية : إن القراءة بالألحان مكروهة ، وكلمة مكروهة يراد بها في أكثر
الأحوال عند هؤلاء التابعين التحريم ، ولكن لعدم النص الصريح بالتحريم لم
يصرحوا به ، ومن هؤلاء سعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، والقاسم بن محمد ،
والحسن البصري ، وابن سيرين ، وإبراهيم النخعي ، ثم جاءت الطبقة التي وليت
التابعين من الفقهاء المحدثين ، فكان منهم كثيرون أفتوا بالكراهة ، ومن هؤلاء
سفيان بن عيينة ، ومالك بن أنس . فقد روى ابن القاسم « أنه سئل الألحان فقال
لا تعجبني ، وإنما هو غناء يتغنون به ليأخذوا عليه الدرام » ولقد جاء في الطبقات
لابن السبكي « أن الربيع بن سليمان الجيزي الأزدي المتوفى سنة ٢٥٧ روى عن الشافعي

رضى الله عنه أن قراءة القرآن بالألحان مكروهة . ولقد تضافرت الروايات عن الامام أحمد رضى الله عنه أنه قال : « القراءة بالألحان بدعة لا تسمع » .
فهذه قول كثيرة عن الأقدمين تبين أن التطريب بالقرآن من غير نظر إلى المعنى حرام أو مكروه أو بدعة ، ولعل الذين لم يفتوا بشيء من هذا لم تصح أسماعهم قراءة بالألحان تبعد المعنى ، وما سمعوه من التغنى بالقرآن كان في دائرة ألحان العرب التي استحسناها النبي صلى الله عليه وسلم ، وأجازها ، ولم تكن من ألحان الأعاجم التي تهوش المعاني في نفوس السامعين .

٧ — والذي يستخلص من مجموع النقول ، وهو الذي يتلاقى فيه المختلفون ، أن التغنى بالقرآن قسمان : (أحدهما) يساعد على المقصود من التلاوة وهو العظة والاعتبار ، وفهم معانيه ، وتدبر آياته ، وتذوق جمال لفظه ، وطلاوة أسلوبه ، وحلاوة بلاغه . وهذا مستحسن مطلوب . ومن ذلك ما يروى عن عمر بن الخطاب أنه كان يقول لأبي موسى الأشعري : ذكرنا ربنا ، فيقرأ أبو موسى ويتلاحن . ومن ذلك أيضاً ما يروى من أن عمر رضى الله عنه قال لعقبة بن عامر وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن : اعرض علي سورة كذا ، فعرض عليه ، فبكى عمر ، وقال « ما كنت أظن أنها نزلت » .

وهذا القسم هو الذي يكون المعنى فيه واضحاً جلياً ، ويزيده حسن الصوت والالقاء جلاء ، ووضوحاً ، وسماعه يزيد المؤمن إيماناً كما قال تعالى في وصف المؤمنين « وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ، وعلى ربهم يتوكلون » .

أما القسم الثاني فهو الذي يكون التوقيع الموسيقي غير متناسب مع المعنى ، أو يكون الغرض من التلاوة مجرد التطريب ، والغرض من السماع مجرد الطرب ، أو يكون الترجيع للتنويع في الموسيقى ، أو تستعار القراءات ولو لم تكن شاذة لتنويع الموسيقى ، فيكون السامع في جو من الطرب لا في مقام اهتداء وانعاط واستبصار .

وهذا صالح لأن يتخذ تسليية ، لا أن يكون تبصرة . وما لهذا كان القرآن ، وهو لا يتفق مع المكان الأمثل له . وفوق ذلك فإن الترجيع الموسيقى يذهب بوقاره وجلاله ، وقد سمعت قارئاً يقرأ سورة « الحاقة » ، ويختار قراءة كسر ما قبل التاء المربوطة ملحناً بها ، فيكون طرب شديد من الناس للحن ، ولكن ذا الاحساس يرى فيه تهزيماً لقرآن الله العلي الحكيم .

وإن هذا القسم هو البدعة التي ابتدعها الناس ، وهو الذي كرهه الأئمة ، وقال فيه إمام دار الهجرة : « هو غناء يتغنون به ليأخذوا عليه الدرام » .
فعلى الذين يستأجرون القراءة ليقرأوا القرآن متيمين بقراءته في أفراحهم ، أو راجين المغفرة بها في أحزانهم — أن يتحروا السنة ، ويبتعدوا عن البدعة .
والله الموفق .
محمد أبو زهرة

كلمات حكيمة

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه :
ما كانت الدنيا هم رجل قط إلا لزم قلبه أربع خصال :
قهر لا يدرك غناه ، وهم لا ينتقضى مداه ، وشغل لا ينفد أولاه ، وأمل لا يبلغ مداه .

وقال رضى الله عنه :
تكثرُوا من العيال فانكم لا تدرون بمن ترزقون . ما الحر صرفاً بأذهب
لعقول الرجال من الطمع . من كتم سره كان الخيلار في يده . لا يكن حبك كلفاً ، ولا
بفضك تلفاً .

من هدى القرآن :

القرآن وحقوق الإنسان

قال الله تعالى في كتابه الكريم « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » .
هذه الآيات الكريمة أول ما نزل من هدى القرآن على المصطفى صلى الله عليه وسلم فى أوائل القرن السابع الميلادى . وقد تضمن قول الله تعالى « خلق الانسان من علق » الركن الركين للمبادئ التى كانت سبيلا لاعلان حقوق الانسان فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى .

وإن المتأمل فى هذه الآية القصيرة ليستوحى من هديها أن بنى الانسان إخوة متساوون فى عنصر التكوين والوجود . فهى تنطق بأن النوع الانسانى خلق من علق، وهى قطع من الدم تعلق بالأرحام . ويحلى هذا المعنى قول الله تعالى « ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين » .

هذا هو الانسان فى أصله وتناسل أفراده ، لا يشذ فرد فى تكوينه الطبعى عن هذا التهج السوى . ولقد شاء الله جلت حكمته أن يكون فى الناس الفقير والغنى ، والمالك والأجير ، والخادم والمخدوم ، لأن نظام العمران يقتضى ذلك حتى يتعاون الجميع فى سبيل الانشاء والانتاج والتعمير كل بما يملك من مال وقوة ، لا يتفاضلون

إلا بما يحسنون من سعى وعمل . وفي هذا المعنى يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « إنما أنتم ولد آدم ، ليس لأحد فضل على أحد إلا بالدين أو عمل صالح » .
ولقد كان مسلك الرسول صلى الله عليه وسلم دستوراً حكماً في هذا الشأن الخطير ؛ فقد روى أنه كان مع أصحابه في سفر فاعتزموا ذبح شاة لطعامهم فقال أحدهم : على ذبحها ، وقال الآخر : على سلقها ، وقال ثالث : على طبخها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وعلى جمع الحطب . فقالوا : يا رسول الله كلنا نكفيك ذلك . قال قد علمت هذا ولكن الله يكره أن يرى عبده متميزاً على إخوانه . وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال « إخوانكم خولكم (يعني أن خدمكم إخوانكم) جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس » .
وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يخطب الناس عادة بويج بالخلافة فيقول : « أيها الناس إني قد وليت عليكم ولست بخيركم » .

ويروى التاريخ أن عمر بن الخطاب خرج من المدينة المنورة إلى بيت المقدس لعقد الصلح مع أهلها على تسليمها يتناوب الركوب على دابته مع خادمه ، فدخل بيت المقدس ونوبة الركوب للخادم . ومن المأثور عنه قوله : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » .

أيها السادة : هذا هو الروح الكريم الذي استوحاه المسلمون الأولون من تعاليم كتابهم وهدى نبيهم وسيرة خلفائهم ، فأقاموا العلاقات الانسانية على مبادئ الحرية والاخاء والمساواة ، وأعلنوا حقوق الانسان قولاً وعمل قبل أن يعلموا أسوأهم بمئات السنين . فهل آن للناس أن يعرفوا للاسلام فضله في إعلان هذه الحقوق وجهاد أبنائه في دعمها وصيانتها ، وأن يحرصوا على رعاية هذه الحقوق ليعيشوا في صفاء وسلام .

بإدارته

المفتش العام بقسم المساجد

عصمة الأنبياء^(١)

الرسول وسطاء بين الله تعالى وبين خلقه ، يقومون بتبليغ أوامر الله ونواهيه ، ووعدته ووعدته ، وتعليم عباده ما خفي عليهم وكانوا في حاجة إليه ، كصفات الخالق جل وعلا ، وما يتعلق بالعالم الآخرى .

لذلك لزمهم من الصفات ما يحقق المقصود من إرسالهم ، ويدعون الناس إلى اتباعهم . فيجب لهم : الصدق ، وتبليغ ما أمروا بتبليغه إلى الخلق ، والفتانة ، وسلامة أبدانهم مما تشتمز منه النفوس ، وتنفر منه الأذواق السلية ، والعصمة ، والأمانة ، ويستحيل عليهم ضد هذه الصفات .

وبهذه الصفات امتازوا عن بقية أفراد النوع الانساني ، كما امتازوا بأن أرواحهم قد أمدّها الله بكلّ عنايته ، فصفت بأصل فطرتها ، وركت إلى أعلى الدرجات ، فكانت أهلاً لأن تشاهد الملك الجبار بصورته الأصلية ، وأن تأخذ عنه الوحي ، وأن تسمع كلام الله .

أما ما عدا هذا من الصفات فهم مساوون لباقي أفراد نوعهم ؛ فيأكلون ويشربون ، ويفرحون ويألمون ، ويلحقهم الأذى من أعدائهم .

لوحيت قد علمت ما وجب للرسول ، فالواجب تماماً للفائدة أن ننظر نظرة إجمالية في الآيات التي وردت في كتاب الله تعالى حاكية لما يقع من بعض الرسل وكانت بظواهرها توهم صدور ذنب منهم ، ونوفق بين الاستفادة منها وبين ذلك الذي قام عليه الإجماع ، أوقضى به الدليل العقلي من صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام

(١) من دروس المرحوم الشيخ محمد أبو دقيرة عضو جماعة كبار العلماء .

الآيات الواردة في أيننا آدم عليه السلام

قال تعالى : « وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ، وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ، فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، إنه هو التواب الرحيم » . وقال تعالى : « فقص آدم ربه فنوى » وقال تعالى حكاية عن آدم وحواء « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » .

هذه الآيات بحسب ظاهرها والمتبادر منها تفيد أن الله سبحانه وتعالى نهى آدم عن الأكل من شجرة مخصوصة معينة (قيل هي شجرة الخنطة) ، وأن آدم أكل منها بعد النهي الموجه إليه من قبل الباري ، كما تفيد أن آدم اعترف بخطيئته وكذلك حواء ، وأنهما طلبا من الله المغفرة ، فأرشدتهما إلى طريق التوبة ، فسلكاه فتاب عليهما . فتوجيه النهي إلى آدم عن الأكل من الشجرة منع له عن قربانها ، وتناوله منها بعد ذلك النهي خروج على هذا النهي . وهذا هو عين الذنب ؛ ولذلك صرح آدم مع زوجه بأنهما ظلما أنفسهما وجنبا عليها ، وطلبا المغفرة من الله ، وصرح الله سبحانه وتعالى في آية أخرى بأن آدم عصى ربه .

ولاجل أن يتفق ما يستفاد من الآيات المذكورة مع ما ثبت بالعقل نقول : إن آدم ارتكب ذنباً ، لكنه كان قبل البعثة ، لأنه ارتكبه قبل أن يكون له ولد يرسل إليه ، وكان ناسياً لذلك المهد الذي قد أخذ عليه ، لقوله تعالى في حق آدم « ففسى ولم نجد له عزما » . فضلا عن ذلك فهذا الذنب من الصغائر ، وتعظيم الله تعالى لذلك الذنب ، واستعظام آدم له ، نظراً إلى علو شأنه ، ومزيد

فضل الله تعالى عليه وإحسانه، ومخالفة الحبيب على الحبيب شديدة، وصدور الصغيرة خصوصاً إذا كانت قبل البعثة لا يقدح في عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وقال الله تبارك وتعالى: «هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها، فلما نفشاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين. فلما آتاها صالحاً جعلناه شركاء فيما آتاها، فتعالى الله عما يشركون».

كثرت آراء الكاتبين على هذه الآية، واختلفت مشاربهم، ولم يستند واحد منهم في تأييد رأيه إلى رواية صحيحة في بيان معنى الآية. وحيث إنه لم يرد بيان للآية عن النبي المعصوم فالواجب الركون إلى معنى لا تنبؤ عنه الآية ولا يقترب عليه قدح في نبوة آدم عليه السلام، ونبت ما عده من المعاني وإن قال به جمع، وهذا هو المعنى الصحيح الذى لا غبار عليه:

«هو الذى خلقكم» جميعاً وحده من غير أن يكون لغيره مدخل في إيجادكم «من نفس واحدة» هى آدم عليه السلام «وجعل منها زوجها» أى أنشأ زوجها من جنسها، أى أنشأ حواء من جنس تلك النفس فكانت من الانس لا من الجن، وذلك لحكمة أشار إليها بقوله «ليسكن إليها» أى ليأنس بها وتطمئن نفسه إليها «فلما نفشاها» أى جامعها «حملت حملاً خفيفاً» وهو الجنين حال كونه نقطة أو علقة أو مضغة فإنه لا ثقل فيه بالنسبة لما بعده من الأطوار «فمرت به» أى استمرت على ما كانت عليه قبل الحمل من مباشرة شؤونها بدون ألم ولا تعب «فلما أثقلت» صارت ذات ثقل بكبر الحمل «دعوا الله ربهما» أى آدم وحواء «لئن آتيتنا صالحاً» أى نسلاً سليماً من فساد الخلقة كنتص بعض الأعضاء، فيكون صالحاً بمعنى سليماً صفة لموصوف محذوف وهو «نسلاً». «لنكونن من

الشاكرين « لك على تلك النعمة » فلما آتاها صالحاً « أى نسلاً كاملاً الخلقة لا قص فيه ، والنسل الذى رزق به آدم صنفان : ذكر وأنثى « جعل له شركاء فيما آتاها » أى جعل النسل الصالح الكامل الخلقة المكون من صنفين ذكر وأنثى « شركاء فيما آتاها فتعالى الله عما يشركون » أى تنزه الله تعالى عن إشراكهم .

وبيان الآية على هذا الوجه الذى ذكرناه يجعل الشرك باقياً على المعنى المتبادر منه ، ويجعله صادراً من نسل آدم لا من آدم وحواء ، وغاية ما يلزم على هذا الوجه أن لفظ « صالحاً » فى الآية الواقع صفة لنسل المحذوف حيث كان مفرداً ، فظاهر الحال يقتضى أن الضمير العائد إليه يكون مفرداً ، وقد عاد الضمير إليه فى قوله « جعلاً » وقوله : « آتاها » مثنى ، فيكون جارياً على خلاف الظاهر ؛ ولكن حيث كان القرآن عربياً ، واللغة العربية لا مانع فيها من إرجاع الضمير إلى الكلمة تارة باعتبار لفظها ، وتارة باعتبار معناها ، وحيث كان النسل مفرداً باعتبار لفظه ، ومثنى باعتبار معناه ، لأن المراد منه صنفان ذكر وأنثى ، فقد لوحظ لفظه فوصف بقوله « صالحاً » وهو مفرد ، وأعيد الضمير عليه مثنى ، لأن النسل مكون من صنفين ذكر وأنثى . ولما كان كل من الصنفين يشمل أفراداً كثيرة أتى بضمير الجمع فى قوله « فتعالى الله عما يشركون » . وحينئذ فليس فى الآية بالنسبة لآدم ما يخل بمصمته ، لذلك كان حمل الآية على هذا المعنى أولى من الأوجه التى ذكرت هنا ، بل يكاد يكون متعيناً ، فلا تلبثت إلى ما نقله بعض القصاصين هنا ونسبه إلى حواء .

الفنـاعة

مما ينسب إلى الامام الشافعى رضى الله عنه :

أمت مطامعى فأرحت نفسى	فان النفس ما طمعت تهون
وأحييت القنوع وكان ميتاً	ففى إحيائه عرضى مصون
إذا طمع يحل بقلب عبد	علته مهانة وعلاه هون

جمع القرآن بمعنى حفظه في الصدور

- ٣ -

المشهورون بأقراء القرآن من الصحابة فمن بعدهم:

المشهورون بأقراء القرآن من الصحابة سبعة: عثمان، وعلي، وأبي، وزيد بن ثابت وابن مسعود، وأبو الدرداء، وأبو موسى الأشعري. كذا ذكرهم الذهبي في طبقات القراء.

قال: ولقد قرأ على أبي جماعة من الصحابة منهم: أبو هريرة، وابن عباس، وعبد الله بن السائب. وأخذ ابن عباس عن زيد أيضاً، وأخذ عنهم خلق من التابعين.

فكان بالمدينة ابن المسيب، وعروة، وسالم، وعمر بن عبد العزيز، وسليمان وعطاء ابنائسار، ومعاذ بن الحارث المعروف بمعاذ القاري، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وابن شهاب الزهري، ومسلم بن جندب.

وبمكة: عبيد بن عمير، وعطاء بن أبي رباح، وطاوس، ومجاهد، وعكرمة. وبالكوفة: علقمة، والأسود، ومسروق، وعبيدة، وعمر بن شرحبيل، والحارث بن قيس، والربيع بن خيثم، وعمر بن ميمون، وأبو عبد الرحمن السلمي، وزر بن حبيش، وعبيد بن فضيلة، وسعيد بن جبير، والنخعي، والشعبي.

وبالبصرة: أبو عالية، وأبو رجاء، وأبو نصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر، والحسن، وابن سيرين.

وبالشام: المنيرة بن أبي شهاب الخزومي صاحب عثمان، وخليفة بن سعد صاحب أبي الدرداء.

ثم تجرد قوم واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية حتى صاروا أئمة يقتدى بهم، ويرحل إليهم.

فكان المدينة : أبو جعفر يزيد بن القعقاع، ثم شيبه بن فصاح، ثم نافع بن نعيم.
وبمكة : عبد الله بن كثير، وحמיד بن قيس الأعرج، وعبد بن محيصن،
وبالكوفة : يحيى بن وثاب، وعاصم بن أبي النجود، وسليمان بن الأعمش،
ثم حمزة، ثم الكسائي .

وبالبصرة : عبد الله بن أبي اسحق، وغيسى بن عمر، وأبو عمرو بن الملاء،
وعاصم الجحدري، ثم يعقوب الحضرمي .

وبالشام : عبد الله بن عامر، وعطية بن قيس الكلبي، وإسماعيل بن عبد الله
ابن المهاجر، ثم يحيى بن الحارث الذماري، ثم شرح بن يزيد الحضرمي .
واشتهر من هؤلاء في الألفاظ الأئمة السبعة «نافع» وقد أخذ عن سبعين من
التابعين، منهم أبو جعفر .

« وابن كثير » وأخذ عن عبد الله بن السائب الصحابي .

« وأبو عمرو » وأخذ عن التابعين .

« وابن عامر » وأخذ عن أبي الدرداء وأصحاب عثمان .

« وعاصم » وأخذ عن التابعين .

« وحمزة » وأخذ عن عاصم، والأعمش، ومنصور بن المعتمد، وغيرهم .

« والكسائي » وأخذ عن حمزة، وأبي بكر بن عباس .

ثم انتشرت القراءات في الأقطار، وتفرقوا أمما بعد أمم، واشتهر من رواة كل
طريق من طرق السبعة راويان، ثم لما اتسع الخرق، وكاد الباطل يلبس بالحق،
قام جهاينة الأمة، وبالنوا في الاجتهاد، وجمعوا الحروف والقراءات، وعزوا الوجوه
والروايات، وميزوا الصحيح والمشهور والشاذ، بأصول أصولها، وأركان فصولها،
ولازالت مصنفاتهم يتداولها المسلمون إلى وقتنا هذا، وعليها الاعتماد في ضبط القرآن
والقراءات، وحفظه من التحريف والتبديل، رحمهم الله وأحسن ثوابهم .

فريد العبادي مدرس بالازهر

عظات و طرف

لماذا لا يجاب دعاؤنا :

قيل لابراهيم بن آدم : ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال الله تعالى : « ادعوني أستجب لكم » ؟ قال : لأن قلوبكم ميتة . قيل : وما الذى أماتها ؟ قال : ثمان خصال : عرقم حق الله ولم تقوموا بحقه ، وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده ، وقلتم نحب رسول الله ﷺ ولم تعملوا بسنته ، وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له ، وقال الله تعالى « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا » فواطأتموه على المعاصي ، وقلتم نخاف النار وأرهقتم أبدانكم فيها ، وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها ، وإذا قمتم من فراشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وافترشتم عيوب الناس أمامكم . فأسخطم ربكم ، فكيف يستجيب لكم !

الروح والجسد :

عن ابن عباس قال : ما نزال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى يخاصم الروح الجسد ، فيقول الروح : يارب إنما كنت روحاً منك جعلتني في هذا الجسد فلا ذنب لي ، ويقول الجسد : يارب كنت جسداً خلقتني ودخل في هذا الروح مثل النار ، فيه كنت أقوم ، وبه كنت أقعد ، وبه أذهب ، وبه أجيء . . . لا ذنب لي .

قال : فيقال : أنا أقضى بينكما ؛ أخبراني عن أعمى ومقعّد دخلا بستاناً ! فقال المقعد للأعمى : إني أرى ثمرأ فلو كانت لي رجلان لتناولت ، فقال الأعمى : أنا أحملك على رقبتى . فحمله فتناول من الثمر ، فعلى من الذنب ؟ قالا : عليهم جميعاً . قال : قضيتما على أنفسكما ! .

السنة الأولى

العدد الثامن

١	مفتي الديار المصرية محمد حسنين مخلوف	المثل العليا في الإسلام
١٢	الأستاذ الكبير شيخ المقارئ المصرية	الأحرف السبعة
١٨	الأستاذ الكبير محمد أبو زهرة	التغني بالقرآن
٢٤	الأستاذ الكبير جاد المولى سليمان	القرآن وحقوق الإنسان
٢٦	الأستاذ الكبير محمود أبو دقيقة	عصمة الأنبياء
٣٠	الأستاذ الكبير فريد العبادي	جمع القرآن بمعنى حفظه
٣٢		عظات وطرف

